

عنوان البحث

ملامح التنمية الرشيدة في ضوء القرآن الكريم وقصصه

د. غسان المعلم<sup>1</sup>

<sup>1</sup> دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم. كلية الدعوة الجامعية. بيروت، لبنان.

بريد الكتروني: Ghassanm22@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(9); <https://doi.org/10.53796/hnsj59/22>

تاريخ القبول: 2024/08/17م

تاريخ النشر: 2024/09/01م

المستخلص

يهدف البحث إلى معرفة التنمية الرشيدة، والمسائل المتعلقة بها، ليؤصل القواعد ويحدد المجالات. والنظر للعملية الإنمائية من خلال بناء الرؤية الإنسانية العامة لمفهوم الإنماء وجعله رشيداً يربطه بمصدر الرشد وهو القرآن الكريم: ﴿قُلْ أُوجِي إِلَيَّ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۚ﴾ [الجن: 2-1]

ويبرز البحث توجيهات القرآن حيال التنمية الرشيدة التي تجعل حركة الإنسان تصدر في إطار إيماني صوب مصلحته وإصلاحه وإصلاح دنياه دون الاضرار بالبيئة والمجتمع، كما يظهر أهم جوانب التنمية الرشيدة ويضرب أمثلة من قصص القرآن للتنمية الرشيدة.

الكلمات المفتاحية: الإسلام والتنمية | الرشد | حماية البيئة | قصص القرآن الكريم.

## RESEARCH TITLE

**FEATURES OF RATIONAL DEVELOPMENT IN LIGHT OF THE HOLY QURAN AND ITS STORIES.****Dr. Ghassan Al-Muallem<sup>1</sup>**<sup>1</sup> PhD in Quranic Sciences, University College of Da'wah

E-mail: Ghassanm22@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(9); <https://doi.org/10.53796/hnsj59/22>**Published at 01/09/2024****Accepted at 17/08/2024****Abstract**

The research aims to understand rational development and related issues, to establish the rules and define the areas. And looking at the development process through building the general human vision of the concept of development and making it rational by linking it to the source of rationality, which is the Holy Quran: "Say, 'It has been revealed to me that a group of jinn listened and said, "Indeed, we have heard an amazing Quran. 1 It guides to the right path, so we have believed in it, and we will never associate with our Lord anyone. 2" [Al-Jinn: 1-2] The research highlights the Quran's directives regarding rational development that make human movement proceed within a framework of faith toward his interest, reform, and reform of his worldly life without harming the environment and society. It also shows the most important aspects of development. Rational and gives examples from the stories of the Qur'an for rational development.

**Key Words:** Islam and Development | maturity | Environmental Protection | Stories of the Holy Quran

## المقدمة:

## يهدف البحث إلى:

1. تبين الأصل القرآني للتنمية الرشيدة.
2. إبراز القصص القرآنية الشارحة للتنمية الرشيدة في جوانبها المتعددة.
3. إظهار الرابط بين العلم بمفهومه الشامل كما ورد في القرآن الكريم وبين التنمية الرشيدة.

**منهج البحث:** اقتضى البحث اتباع المنهج (الوصفي التحليلي) الذي يعد ملائماً لطبيعة الدراسة الحالية، كما اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الناقص الذي يقوم على تتبع الآيات المتعلقة بالموضوع من مظانها في القرآن الكريم وتصنيفها وتحليلها مع الاختصار.

## مشكلة البحث:

أدى تخلف بعض المجتمعات واستمرار التدهور البيئي وما رافقه من انعكاسات سلبية الطبيعة والإنسان والمجتمع إلى بروز قصور مفهوم التنمية وبروز الحاجة لترشيد المفهوم وفق ما يصلح الحال. والمسلم يعتقد أن القرآن الكريم بمفاهيمه وتأثيره على معتقيه قادر على ضبط المفهوم ومن ثم الدفع باتجاه تحقيق التنمية الرشيدة التي لا تضر الأنظمة البيئية، وتحقق النمو والرفاه للإنسان في حاله وماله.

يمكن تلخيص فرضيات البحث ضمن هذه الأسئلة:

1. ما جوانب التنمية الرشيدة في القرآن الكريم وقصصه؟
2. ما علاقة الإنسان ونظرته الكونية ومعتقداته وقيمه بالتنمية الرشيدة؟
3. ما مخاطر التنمية دون رشد؟

## بسم الله الرحمن الرحيم

قارئ القرآن يجد أنه أنزل للإنسان لهدايته ورشاده إلى ما فيه صلاحه وفلاحه كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44] وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿﴾ [الرحمن: 1-4] ولذا نجد هديه يرشد الإنسان لما فيه صلاحه وتطوره ونماؤه في جوانب حياته كلها وهو ما يسمى بالتنمية، فالتنمية في القرآن الكريم شمولية متكاملة، لا تنحصر في مجال التنمية الاقتصادية (رغم أهميتها) بل تتعداها لكافة الجوانب. والقرآن الكريم في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها يهدف إلى تحسين حياة الإنسان من مختلف النواحي، الخاصة والعامة والمادية والروحية والخلقية، والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية وفق تشريع إلهي محكم مع توجيه صريح بالحفاظ على الموارد التي خلقها للإنسان من الفساد أو الضياع أو الهدر بالإسراف والتبذير. (1)

والإنسان له حاجات يعمل لتلبيتها سواء حاجاته الروحية أم البدنية أم القلبية، وفي خضم تلبيته لتلك الحاجات لا يغفل الآخرة ولا يترك الدنيا فهو يحقق التنمية المتوازنة الرشيدة في نفسه كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 1]

(1) يمكننا اعتبار المصطلح القرآني (عمارة الأرض) المقابل أو الرديف للتنمية من الجانب المادي؛ لأن دلالات هذا المصطلح تتضمن معاني الوسيلة التي تتحقق بها التنمية، قال تعالى: ﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ [هود: 61] قال الراغب الأصفهاني: «واستعمركم فيها» أي: «فوض إليكم أن تعمروها». معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق، إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية (ص 388).

[77] وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠٢﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة: 201-202] فالإنسان المسلم منضبط في عمله الدنيوي بما لا يتعارض مع حياته الآخروية.

من خلال هذا التوازن وهذا التصور يظهر القرآن الكريم مفاهيم التنافس والتفوق والتقدم في المجتمع لتتسجم مع عقائد الإسلام وأساسه الأخلاقية التي لا تضر المخلوقات ولا تهمل الإيمان ولا تتجرد عن الأخلاق في خضم التنمية والتطور والتنافس الدنيوي على تحسين حياة الإنسان بخلاف ما شاهدناه من الحضارة الغربية التي استهلكت الحث والموارد والكوكب وأضرت به في سبيل تطورها ورفاهها -بما انعكس سلباً على ما أرادت- فهي محرومة من التعليمات الإلهية التي تنظم حياة الناس بما يصلح حالهم ومآلهم وتخضع لقيمتها الدنيوية السائلة المتغيرة وفق معتقداتهم وتصوراتهم ولذا نجد تهميتهم يعترها القصور في جوانب أغفلتها، بينما مسار المسلم في التنمية الرشيدة واضح المنطلق والغاية والضوابط فهو ينطلق من هدف ديني يعلم أن سعيه لعمارة الأرض نوع من العبادة يجد ثوابها في صحيفته وأنه إن تلى عن أخلاقه في سعيه الدنيوي سيد عاقبة ذلك في صحيفته؛ فغايته رضا الله وتطبيق هديه في كتابه وهذا أكبر دافع للتنمية يمكن أن يوجد ولذا نجد المسلم يستسهل الصعاب في عمله لارتباطه بعقيدة القرآن التي توجهه أن التعب والضنك والكبد من طبيعة الحياة الدنيا ويقدر صبره يكون أجره، وأن الدنيا مزرعة الآخرة فالدنيا موصولة بالآخرة وليست منفكة عنها وهي جزء من ابتلاء المؤمن ليرى الله حسن عمل الإنسان كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: 2].

والمسلم وهو يسعى بوعي في الأرض لتنمية حياته وتطويرها ينطلق من تصور قرآني أن كل مافي الكون قد خلقه الله تعالى وسخره للإنسان وخدمته، يجد ذلك في الآيات الكثيرة التي تتحدث عن "التسخير" والآيات تدل بوضوح أن ذلك كله مخلوق للإنسان وذلك باستخدام القرآن لفظ لكم صريحة الدلالة، ويرى حث الآيات الإنسان لاستغلال الموارد الطبيعية التي توجد في البيئة التي يعيش فيها كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13-12]، وكقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 33-32].

### من جوانب التنمية الرشيدة

حدّد القرآن الكريم جوانب التنمية الرشيدة فكانت متوازنة متكاملة في نواحيها المختلفة ومحورها الإنسان الذي تتم التنمية به وله ومن أجل تحقيق سعادته وكرامته ورفاهيته في الدنيا والآخرة على حد سواء، مع المحافظة على بيئته وموارده لتبقى للأجيال القادمة. وهذه بعض الآيات التي تشير إلى التنمية في بعض جوانبها<sup>(2)</sup>:

#### 1. جانب العمل والزراعة ومحاربة الجوع وتوفير الغذاء والماء الصحي للناس أجمعين:

هناك آيات عديدة تشير إلى تسخير الله تعالى الأرض للإنسان وجعلها صالحة للحياة والزراعة وإنبات الأطعمة وإنزال الماء لسد حاجة الإنسان، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿...هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61] .

(2) لم يقصد البحث الاستقصاء عن جوانب التنمية أو الآيات الواردة بل إلقاء الضوء على أهمها والربط مع القصص القرآني. والدراسات في هذا الباب كثيرة منها على سبيل المثال: التنمية المستدامة عبدالرحيم محمد علي البركي. مجلة الاقتصاد والتجارة جامعة الزيتونة -كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكتاب إشكالية التنمية ووسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح، إعداد مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى سنة 2008 عدة باحثين.

«هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أي خلقكم من الطين، «وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» أي جعلكم تعمرونها فتنشئون فيها المباني والحدائق الغناء، والسين والتاء في كلمة «اسْتَعْمَرَكُمْ» معناها التكليف لعباده أن يعمرها فهو سبحانه مظهرهم على ما جعلهم يسخرون السماوات والأرض بما قدره تعالى لهم»<sup>(3)</sup>.

وقوله تعالى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا...» [الروم: 9].

«وَعَمَرُوهَا»: مِنَ الْعِمَارَةِ، أَي بَقَاؤُهُمْ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ بَقَاءِ هَؤُلَاءِ، أَوْ مِنَ الْعُمَرَانِ: أَي سَكَنُوا فِيهَا، أَوْ مِنَ الْعِمَارَةِ. قَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ<sup>(4)</sup>: أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا: مِنْ عِمَارَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَهْلِ مَكَّةَ أَهْلُ وَادٍ غَيْرِ ذِي رَزَعٍ، مَا لَهُمْ إِثَارَةُ الْأَرْضِ أَصْلًا، وَلَا عِمَارَةَ لَهُمْ رَأْسًا، فَمَا هُوَ إِلَّا تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَتَضْعِيفُ حَالِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، لِأَنَّ مُعْظَمَ مَا يَسْتَظْهِرُ بِهِ أَهْلُ الدُّنْيَا وَيَتَّبَاهُونَ بِهِ أَمْرُ الدَّهْقَنَةِ، وَهُمْ أَيْضًا ضِعَافُ الْقُوَى»<sup>(5)</sup>.

فالأرض مهينة ليعمل الإنسان فيها مذلة له والمسلم مدعو للعمل وتوفير قوت عياله بحراستها وعمارته واستصلاح أراضيها وتسهيل مائها وتجويد معيشته فيها وغير ذلك من السبل<sup>(6)</sup> قال تعالى ممتناً على عباده بنعمة تذييل الأرض وإنزال الماء الطاهر النظيف: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَشْجَارًا مِنْ أَنْوَاجٍ مِمَّنْ نَبَاتِ شَتَّى» ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ [طه: 53-54] وقال سبحانه: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [الملك: 15].

«الْمِنَّةُ: بِأَنَّهَا خَلَقَهَا هَيِّئَةً لَهُمْ صَالِحَةً لِسَيْرٍ فِيهَا مُخْرِجَةً لِأَرْزَاقِهِمْ، وَدَيْلَ ذَلِكَ بِأَنَّ النُّشُورَ مِنْهَا وَأَنَّ النُّشُورَ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ. وَالذُّلُولُ مِنَ الدَّوَابِّ الْمُتَفَادَةُ الْمُطَاوَعَةُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الذَّلِّ وَهُوَ الْهَوَانُ وَالْإِنْقِيَادُ. وَالْمَنَاكِبُ: تَخْيِيلٌ لِلِاسْتِعَارَةِ لِزِيَادَةِ بَيَانِ تَسْخِيرِ الْأَرْضِ لِلنَّاسِ فَإِنَّ الْمَنْكَبَ هُوَ مُنْقَى الْكَيْفِ مَعَ الْعُضْدِ، جَعَلَ الْمَنَاكِبَ اسْتِعَارَةً لِأَطْرَافِ الْأَرْضِ أَوْ لِسَعَتِهَا. وَفَرَعَ عَلَى هَذِهِ الْاسْتِعَارَةِ الْأَمْرُ فِي فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا فَصِيغَةُ الْأَمْرِ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَى الْإِدَامَةِ تَذْكِيرًا بِمَا سَخَّرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْمَشْيِ فِي الْأَرْضِ امْتِنَانًا بِذَلِكَ. وَمُنَاسَبَةٌ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ أَنَّ الرِّزْقَ مِنَ الْأَرْضِ. وَالْأَمْرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِدَامَةِ أَيْضًا لِلِامْتِنَانِ، وَبِذَلِكَ تَمَّتِ اسْتِعَارَةُ الذُّلُولِ لِلْأَرْضِ لِأَنَّ فَاَيْدَةً تَذْكِيلِ الذُّلُولِ رُكُوبُهَا وَالْأَكْلُ مِنْهَا. فَالْمَشْيُ عَلَى الْأَرْضِ شَبِيهٌ بِرُكُوبِ الذُّلُولِ، وَالْأَكْلُ مِمَّا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ شَبِيهٌ بِأَكْلِ الْأَلْبَانِ وَالسَّمَنِ وَأَكْلِ الْعُجُولِ وَالْحَرْفَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَجَمَعَ الْمَنَاكِبَ تَجْرِيدًا لِلِاسْتِعَارَةِ لِأَنَّ الذُّلُولَ لَهَا مِنْكِبَانِ وَالْأَرْضُ ذَاتُ مُتَسَعَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَكُلُّ هَذَا تَذْكِيرٌ بِشَوَاهِدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِنْعَامِ لِيَتَذَبَّرُوا فَيَرْكَبُوا الْعِنَادَ، قَالَ تَعَالَى: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ» [النحل: 81]»<sup>(7)</sup>.

<sup>(3)</sup> زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (7/ ٣٧٢٣).

<sup>(4)</sup> أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الرمخشري (538 - 467 هـ - 1144 - 1075م) النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر وتفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل". ينظر: سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (20/136)، وطبقات المفسرين (ص120) و الأعلام للزركلي: (7/ 178).

<sup>(5)</sup> البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ (8/378).

<sup>(6)</sup> في القرآن آيات كثيرة عن العمل وعمارته الأرض وتوفير الغذاء، وفي السنة النبوية تصريح بالحث على العمل وترك البطالة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا أَكَلْنَا أَحَدًا طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنْ نَبِيٌّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» صحيح البخاري - ط السلطانية صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببلاط مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صورها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة: رقم الحديث (57/ 3) 2072. وقوله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ خَبْلَهُ، فَيَحْتَضِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أُعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ». صحيح البخاري - ط السلطانية رقم الحديث (123/ 2) 1470.

<sup>(7)</sup> التحرير والتوير «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ (31/ 29) .

وقال عز من قائل: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَكَفُّورًا ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ جُرَافًا قَالُوا فَالْوَالِدَاتُ يُرْزِقْنَ ﴿٧٠﴾ [الواقعة: 63-70].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُنْتَسِبَةٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ [الأنعام: 141-142].

وامتن على عباده بأنواع الطعام والأرزاق منه فقال: ﴿...وَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ [طه: 80-81].

وأمر الله عباده بالتعم والاستفادة مما خلقه الله لهم باعتدال فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٨﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ ءُمُومُونَ ﴿٨٩﴾ [المائدة: 89-87].

وجعل الله الماء سر الحياة فقال: ﴿أَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء: 30].

وأخرج أنواع المحاصيل والزرع لأجل الإنسان والأنعام فقال عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَصَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّا نَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَانِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفُكَّهُةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ [عبس: 24-32].

## 2. توزيع الثروات على الجميع ومحاربة الفقر ومساعدة الفقراء.

الفقر أول الأسباب التي تمنع التنمية وتعيق العمران، وتعرقل بناء الإنسان، والقرآن الكريم حدد طرقاً لعلاج مشكلة الفقر ووجهنا إلى أفضل الحلول، وهو ابتداءً لا يريد تكديس الأموال في يد طبقة واحدة تدور المكاسب بينها فيزداد الغني غناً والفقير فقراً بل وجه القرآن للتوزيع الأمثل للثروة المتحصلة من الإرث أو المغنم أو الفبيء لتكون عادلة وليست في يد فئة على حساب آخرين، ففي الفبيء قال تعالى: ﴿مَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ءَمِّنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقَرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨﴾ [الحشر: 7-8].

«الدولة والدولة -بالفتح والضم- وقد قرئ بهما: ما يدول للإنسان، أي يدور من الجد. يقال: دالت له الدولة. وأدبل لفلان. ومعنى قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾: كيلا يكون الفبيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جداً بين الأغنياء يتكاثرون به. أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم» (8).

ومن طرق علاج الفقر الذي يقف عائناً أمام تطور الإنسان وبنائه، الإنفاق على المستحقين وهي طريقة مثلى في المعالجة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: 60].

(8) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ (مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخرجه أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي، (4/ 502).

والله يحث عباده على الكرم والإنفاق ويعيب على البخلاء المتكبرين: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مَحْتَالًا فَخُورًا ﴿36﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿37﴾ [النساء: 36-37].

وآيات الكتاب توضح مفهوم التقوى والبر بأنه الإيمان المقرون بالإنفاق على عدة أصناف مستحقة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿177﴾ [البقرة: 177]. الإنفاق سراً وعلانية لمحاربة الفقر وتخفيف معاناتهم سبب لتكفير ذنوب المنفقين ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿270﴾ إِنْ تَبَدُّوا لَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿271﴾ [البقرة: 270-271].

فالتتمية الرشيدة وفق القرآن الكريم تقتضي السعي لمواجهة الفقر ومساعدة الفقراء وتوزيع المال والثروة بالطريقة الأنسب لتحقيق الغايات والأهداف وتحسين حياة الناس إلى الأفضل وتحقيق الكرامة الإنسانية للجميع.

### 3. الحفاظ على الصحة و السعي لرفاه للناس.

التتمية المتوازنة الرشيدة تتطلب الحفاظ على صحة الناس والسعي لرفاههم، وقد جاء الهدي الرباني بأفضل ما يحافظ على صحة الإنسان مع الحفاظ على التمتع والترفيه المباح، ومن هذا الهدي أمره سبحانه: ﴿يَتَنَبَّأُ بِإِذْنِ اللَّهِ مَا كُنَّ تَحْتِهَا وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿31﴾ وَالَّذِينَ يَبْخُلُونَ إِذَا أُنْفِقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿67﴾ [الفرقان: 67] وَقَالَ: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿26﴾ [الإسراء: 26] وَقَالَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿29﴾﴾. (9)

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ: (تَقْدِيرُ الْأَوَّلِ): كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تُسْرِفُوا فِي الْأَكْلِ.. فَأَلْسِرَافٌ مُجَاوِزَةٌ الْحَدِّ وَالْإِعْتِدَاءِ كَذَلِكَ، وَالْحَدُّ الَّذِي يُنْهَىٰ عَنْ تَجَاوُزِهِ إِمَّا شَرْعِيٌّ كَتَجَاوُزِ الْحَالِلِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا إِلَى الْحَرَامِ، وَإِمَّا فِطْرِيٌّ طَبْعِيٌّ وَهُوَ تَجَاوُزُ حَدِّ الشَّبَعِ إِلَى الْبِطْنَةِ الصَّارَةِ. (الْوَجْهُ الثَّانِي) لَا تُسْرِفُوا فِي الصَّدَقَةِ أَي فِي أَمْرهَا.. أَي لَا تُعْطُوا أَمْوَالَكُمْ وَتَعُدُّوا فُقَرَاءَ.

(الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) أَنَّ النَّهْيَ عَامٌ يَشْمَلُ الْإِسْرَافَ فِي أَكْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ سَرْفٍ، وَفِي إِتْفَاقِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ صَدَقَةٍ وَغَيْرِهَا، فَأَلْسِرَافٌ مَذْمُومٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ... وَنَاهِيكَ بِتَغْلِيلِ النَّهْيِ بِكَوْنِهِ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿67﴾ [الفرقان: 67] وَقَالَ: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿26﴾ [الإسراء: 26] وَقَالَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿29﴾﴾. (9)

ومن الحفاظ على الصحة الحفاظ على النفس البشرية من الهلاك حساً ومعنى، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْلِقُوا بَأْيَدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

﴿وَلَا تُفْلِقُوا بَأْيَدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وفي الباء قولان: أحدهما: أنها زائدة، وتقديره ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة. والقول

(9) تفسير المنار: (8/ 121).

الثاني: أنها غير زائدة أي ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، والتهلكة والهلاك واحد. وفي: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ستة تأويلات: أحدها: أن تتركوا النفقة في سبيل الله تعالى فتهلكوا بالإثم .. والثاني: أي لا تخرجوا بغير زاد فتهلكوا بالضعف .. والثالث: أي تيأسوا من المغفرة عند ارتكاب المعاصي فلا تتوبوا.. والرابع: أن تتركوا الجهاد في سبيل الله فتهلكوا ... والخامس: أنها التقمح في القتال من غير نكاية في العدو ... والسادس: أنه عام محمول على جميع ذلك كله... ثم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أنه عنى به الإحسان في أداء الفرائض... والثاني: وأحسنوا الظن بالقدر... والثالث: عودوا بالإحسان على من ليس بيده شيء»<sup>(10)</sup>.

وقال تعالى حاثاً على الحفاظ على الحياة ناهياً عن قتل النفس: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: 29-30] فالإنسان مكرم عند الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

#### 4. الحث على العلم والتعلم.

أول آية أنزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءت بصيغة الأمر اقرأ وهذا يدل بوضوح جلي على أهمية العلم والتعلم قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5].

وقال تعالى: ﴿.فَلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ بمعنى: لا يستون، ويُقال: الذين يعلمون هم المؤمنون، والذين لا يعلمون هم الكفار، ويُقال: الذين يعلمون العلماء، والذين لا يعلمون الجهال»<sup>(11)</sup>.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11] «أخبر أنه يرفع الله الذين آمنوا، وأخبر أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات؛ لفضل العلم على سائر العبادات من الجهاد وغيره؛ ألا ترى أنه قال في آية الجهاد: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: 96] جعل للمجاهدين على القاعدين فضل درجة، وللذين أوتوا العلم على الذين لم يؤتوا درجات؛ ليعلم فضيلة العلم على غيره، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿قُلُوبًا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 122]»<sup>(12)</sup>.

#### 5 . الأمن والحماية.

ورد في القرآن الكريم لفظ (أمن) ومشتقاته في ثمانية وأربعين موضعاً موزعة على ثلاث وأربعين آية، تسع وعشرون منها مكية في واحد وثلاثين موضعاً، وأربع عشرة آية منها مدنية في سبعة عشر موضعاً، وذلك في أربع وعشرين سورة، سبع منها مدنية، وسبع عشرة سورة مكية، ولفظ (الأمن) مصدرًا جاء في خمسة مواضع<sup>(13)</sup>.

<sup>(10)</sup> تفسير الماوردي (1/ 253).

<sup>(11)</sup> تفسير السمعاني= تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن، الرياض -السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م (4/ 461).

<sup>(12)</sup> تفسير الماتريدي =تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) المحقق: دمجدي باسلوم دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م (9/ 572).

<sup>(13)</sup> ينظر: التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية، للدكتور عبد السلام حمدان اللوح، والدكتور محمود هاشم عنبر، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير، 2006م: 232.



ولا تنمية ولا نهوض دون الأمن، وحين يضطرب الأمن في بلد ما؛ فإن الجوع والخوف سيسودان قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112] كما أن تضييع الموارد وعدم استغلالها بطريقة صحيحة يؤدي للتخلف؛ فالعمران والتنمية يقتضي بناء دفاعات للمدن والقرى، والاستفادة من الموارد لأجل ذلك فإن قصر الإنسان كان عاقبة ذلك معيشة ضنك قوامها الفقر الجسدي والنفسي بالجوع والخوف.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَعُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمَطٍ وَأُتْبَ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۗ وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيِّنَتِنَا أَتَيْنَا نَفْسَهُمْ فَأَجْعَلْنَا قُرَى ظَهْرًا وَمَرْقَنَّهُمْ كُلَّ مَرْقَنٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 15-19].

«وفي الآية دلالة واضحة على أن تأمين الطريق وتيسير المواصلات وتغريب البلدان لتيسير تبادل المنافع واختلاب الأرزاق من هنا ومن هناك نعمة إلهية ومفصد شرعي يجبه الله لمن يحب أن يرحمه من عباده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: 125] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126] وقال: ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] فَلِذَلِكَ قَالَ هُنَا: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: 18]. وَعَلَى أَنَّ الْإِحْفَافَ فِي إِيقَاءِ النِّعْمَةِ حَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ يُعْرِضُ بِهَا لِلزُّوَالِ وَإِنْفِلَابِ الْأَحْوَالِ قَالَ تَعَالَى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

من أجل ذلك كله كان حقًا على ولاية أمور الأمة أن يسعوا جهدهم في تأمين البلاد وحراسة السبل وتيسير الأسفار وتغريب الأمن في سائر نواحي البلاد جليلها وصغيرها بمختلف الوسائل، وكان ذلك من أهم ما تنفق فيه أموال المسلمين وما يبذل فيه أهل الخير من الموسرين أموالهم عونًا على ذلك»<sup>(14)</sup>.

## 6. حفظ الأموال وترشيد الإنفاق والبعد عن الإسراف.

شبه الله تعالى المال لحياة الناس بالعمود الفقري الذي لا يقوم الجسم إلا به، وأمر عز وجل بحفظ الأموال من الضياع، وحذر من الإنفاق في غير مصلحة، ونهى عن البخل والتقتير كما نهى عن الإسراف والتبذير، وخط للناس نهجاً رشيداً للتعامل مع الأموال، فمن ذلك قول الله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٥٦﴾ وَابْتَلُوا الَّتِي مَنَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: 5-6].

«الخطاب في قوله: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ كَمَثَلِ الْخَطَابِ فِي ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَى﴾ ﴿وَأْتُوا النِّسَاء﴾ هُوَ لِعُمُومِ النَّاسِ الْمُخَاطَبِينَ.. لِأَخْذِ كُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لِهَذَا الْحُكْمِ حَظَّهُ مِنَ الْإِمْتِنَالِ. وَالسُّفَهَاءُ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْيَتَامَى، لِأَنَّ الصِّغَرَ هُوَ حَالَةُ السُّفَهَاءِ الْعَالِيَةِ، ... وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مُطْلَقٌ مَنْ ثَبَّتَ لَهُ السُّفَهَاءُ، سَوَاءً كَانَ عَنْ صِغَرٍ أَمْ عَنْ اخْتِلَالِ تَصَرُّفٍ، .. وَهَذَا هُوَ الْأَطْهَرُ لِأَنَّهُ أَوْفَرَ مَعْنَى وَأَوْسَعُ تَشْرِيحًا... وَأُضِيفَتِ الْأَمْوَالُ إِلَى صَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ بِ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» إِشَارَةً بَدِيعَةً إِلَى أَنَّ الْمَالَ

(14) التحرير والتتوير للظاهر بن عاشور (181/ 22).

الرَّاحِ بَيْنَ النَّاسِ هُوَ حَقٌّ لِمَالِكِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ تَلُوْحُ فِيهِ حُقُوقُ الْأُمَّةِ جَمْعَاءَ لِأَنَّ فِي حُصُولِهِ مَنْفَعَةً لِلْأُمَّةِ كُلِّهَا، لِأَنَّ مَا فِي أَيْدِي بَعْضِ أَفْرَادِهَا مِنَ الثَّرْوَةِ يَعُودُ إِلَى الْجَمِيعِ بِالصَّالِحَةِ، فَمِنْ تِلْكَ الْأَمْوَالِ يُنْفِقُ أَرْبَابُهَا وَيَسْتَأْجِرُونَ وَيَشْتَرُونَ وَيَصَدَّقُونَ ثُمَّ تُورَثُ عَنْهُمْ إِذَا مَاتُوا فَيُنْتَقِلُ الْمَالُ بِذَلِكَ مِنْ يَدٍ إِلَى غَيْرِهَا فَيَنْتَفِعُ الْعَاجِزُ وَالْعَامِلُ وَالتَّاجِرُ وَالْفَقِيرُ وَذُو الْكِفَافِ، وَمَتَى قَلَّتْ مِنْ أَيْدِي النَّاسِ تَقَارَبُوا فِي الْحَاجَةِ وَالْخِصَاصَةِ، فَأَصْبَحُوا فِي صَنْكَ وَبُؤْسٍ، وَاحْتَأَجُوا إِلَى قَبِيلَةٍ أَوْ أُمَّةٍ أُخْرَى وَذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ ابْتِزَازِ عَزْمِهِمْ، وَامْتِلَاكِ بِلَادِهِمْ، وَتَضْيِيرِ مَنْفَعِهِمْ لِخِدْمَةِ غَيْرِهِمْ، فَلِأَجْلِ هَاتِهِ الْجُكْمَةِ أَضَافَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْوَالِ إِلَى جَمِيعِ الْمُخَاطَبِينَ لِيَكُونَ لَهُمُ الْحَقُّ فِي إِقَامَةِ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَحْفَظُ الْأَمْوَالِ وَالثَّرْوَةَ الْعَامَّةَ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَا أَحْسَبُ أَنْ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ الْإِقْنِصَادِ سَبَقَ الْقُرْآنَ إِلَى بَيَانِهَا.. وَأَجْرِي عَلَى الْأَمْوَالِ صِفَةٌ تَزِيدُ إِضَافَتُهَا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ وَضُوحًا وَهِيَ قَوْلُهُ: الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا فَجَاءَ فِي الصِّفَةِ بِمَوْصُولٍ إِبْمَاءً إِلَى تَعْلِيلِ النَّهْيِ، وَإِبْصَاحًا لِمَعْنَى الْإِضَافَةِ، فَإِنَّ ﴿قِيَامًا﴾ مُصَدَّرٌ عَلَى وَزْنِ فِعَلٍ بِمَعْنَى فِعَالٍ: .. وَالْقِيَامُ مَا بِهِ يُنْقَوْمُ الْمَعَاشُ.. وَالْمَعْنَى أَنَّهَا تَقْوِيمٌ عَظِيمٌ لِأَحْوَالِ النَّاسِ»<sup>(15)</sup>.

فالآيات القرآنية تؤكد على حفظ الأموال من تصرف السفهاء، وعدم التجاوز على أموال اليتامى، وفي آيات أخرى يؤكد سبحانه وتعالى على الإحسان إلى أصناف مستحقة، ودم البخل والإسراف فقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 215].

على أن إنفاق الأموال يكون باعتدال وتوازن لا إسراف ولا تبذير ولا تقتير قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

«وهذا مثلٌ ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلاً عن النفقة في حقوق الله، فلا تتفق فيها شيئاً إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع بسطها ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ يقول: ولا تبسطها بالعطية كل البسط، فتبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ يقول: فتقعده يلوامك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسوراً: يقول: معيباً، قد انقطع بك، لا شيء عندك تتفق، وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقطع سيرها، وكأنت ورزحت من السير، بأنه حسير. يقال منه: حسرت الدابة فأنا أحسرها، وأحسرها حسراً، وذلك إذا أنضيته بالسير، وحسرت بالمسألة إذا سألته فألحفت، وحسرت البصر فهو يحسر، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكل»<sup>(16)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَعَاتِ دَا الْقُرْتَبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: 26-27].

«وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا فِي التَّبْذِيرِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِفْهَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقٍّ.. وَقَالَ.. التَّبْذِيرُ: النِّفْقَةُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَحْرُ الْإِبْلَ وَتَبْذِرُ الْأَمْوَالِ تَطْلُبُ بِذَلِكَ الْفَخْرَ وَالسَّمْعَةَ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنِّفْقَةِ فِي وَجْهٍ فِيمَا يَقْرَبُ مِنْهُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْإِسْرَافُ الْمَتَلْفِ لِلْمَالِ.. وَالْمُبْذِرُ: هُوَ الْمُسْرِفُ الْمَفْسِدُ الْعَائِثُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ لِأَنَّهُمْ يُوَافِقُونَهُمْ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ، وَيَشَاكِلُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى: وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا أَيْ: جَاحِدًا لِنِعْمِهِ. وَهَذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّ الْمُسْرِفَ كُفُورٌ لِلنَّعْمِ»<sup>(17)</sup>.

<sup>(15)</sup> التحرير والتتوير (4/ 234).

<sup>(16)</sup> جامع البيان، ط: دار التربية والتراث (17/ 433).

<sup>(17)</sup> زاد المسير في علم التفسير (20/ 3).

والله يمتن على عباده بتسخير الأرض وإخراج الطيبات من الزروع والثمار وتسخير الأنعام، ويأمر الله الإنسان بالإنفاق مما رزقه وجعل ذلك حقاً وواجباً، ثم أرشد إلى ألا يسرف الإنسان في الإنفاق وأن يحذر من غواية الشيطان فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿142﴾ [الأنعام: 141-142].

وقال عز من قائل معلماً ومرشداً: ﴿يَبْنَئِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿31﴾ [الأعراف: 31].

## 7. التنمية الرشيدة المستدامة<sup>(18)</sup> ومحاربة المفسدين في الأرض.

التنمية لا تكون راشدة ناجحة إلا إن كانت مستدامة؛ وذلك بالحفاظ على الثروات الطبيعية والموارد الحياتية التي خلقها الله للإنسان على مر العصور وتوالي الدهور إلى يوم النشور<sup>(19)</sup>، والله سخر لنا كل مافي هذا الكون -والتسخير هو تمكين الإنسان من الانتفاع بالموارد بأن جعلها الله سبحانه في تناول يد الإنسان ونطاق عقله وقدرته- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿141﴾ يُنبِئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿142﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿143﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿144﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿145﴾ [النحل: 14-10].

كما حث القرآن على الاستفادة من خيرات الأرض، وقد جاء ذلك في آيات عديدة من القرآن الكريم تقرر أن الله عز وجل خلق الموارد وسخرها لخلقها جميعاً وتدعو للاستفادة منها وشكر الله عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿12﴾ [فاطر: 12].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿168﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿169﴾ [البقرة: 168-169].

وصون حياة الإنسان حاضراً ومستقبلاً مقصد قرآني، والحفاظ على الموارد منهج رباني، لتبقى للأجيال عبر الأعصار؛ ولذلك أمر الله بالإنفاق باعتدال ونهى عن إضاعة الموارد في غير محلها، فحرم الإسراف والتبذير الذي يؤدي إلى استنزاف الموارد في غير فائدة، فالمسلم يتعامل بميزان واعتدال كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿13﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿14﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿15﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿16﴾ فِيهَا فُكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿17﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿18﴾ فَبِأَيِّ آيَاتٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ ﴿19﴾ [الرحمن: 7-13].

والميزان العدل يقتضي العدالة بين الأجيال المتعاقبة، كما قال العلماء: «لولا أن الثاني -الجيل التالي- يرتفق -

(18) يقصد بمفهوم التنمية المستدامة أو الرشيدة: توفير حاجيات الأجيال الحالية وتحقيق رفاههم دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تحقيق حاجياتهم وتحقيق رفاههم، وذلك بحفظ الثروات واستثمارها بأعلى مستوى من المسؤولية والعقلانية.

(19) أمر الإسلام بالمحافظة على المياه والنظافة، ورعاية الحيوان، والحفاظ على التنوع البيئي والغطاء النباتي، واعتبر كل عمل مهما كان بسيطاً في حماية البيئة عملاً مأجوراً مروراً ويدخل في شعب الإيمان كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون باباً، فأدناه إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله» مسند أحمد ( 15/ 466 ط الرسالة) برقم 9748.

ينتفع - بما أنشأه الأول حتى يصير مستغنياً لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجونه من منازل السكنى وأراضي الحرث، وفي ذلك من الإعواز وتعذر الإمكان ما لا خفاء فيه، فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال إلا حتى عمر به الدنيا فعمّ صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن، فيئتم الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها، ويرمّم الثالث ما أحدثه الثاني من شعنها لتكون أحوالها على الأعصار ملتئمة، وأمورها على ممر الدهور منتظمة»<sup>(20)</sup>.

وكذلك نجد القرآن ليحافظ على تنمية مستدامة يدعو لحماية البيئة وعدم الإضرار بها وينهى عن الفساد والإفساد ويوجه الناس ليقفوا في وجه المفسدين من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لَيْلِدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ [الأعراف: 56-57].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا أَي: بعد أن جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومقامكم فيها، أو بعد ما أمر وبين لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم، أو بعد ما أرسل من الرسل ما بهم صلاح الأرض وأهلها﴾<sup>(21)</sup> ومخالفة أمر الله طريق للفساد ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي لا تعملوا فيها بالمعاصي وبخس الناس بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل وإرسال الرسل»<sup>(22)</sup>.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تُنَخُّدُونَ مِنْ سُهُولِهَا فُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74].

﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ مَعْنَاهُ: وَلَا تَسْعَوْا فِي إِفْسَادِ مَصَالِحِ الْغَيْرِ فَإِنَّ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ سَعْيٌ مِنْكُمْ فِي إِفْسَادِ مَصَالِحِ أَنْفُسِكُمْ.. وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ مَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ.. وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ مَصَالِحِ الْأَدْيَانِ»<sup>(23)</sup>.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 204-207].

«هَذَا الْفُسَادُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ مِنْ إِتْلَافِ الْأَمْوَالِ بِاللِّتْمِيزِ وَالنَّحْرِيقِ وَالنُّهْبِ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي فِي تَفْسِيرِ الْفُسَادِ: أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ الْإِنْصِرَافِ مِنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْتَغِلُ بِإِدْخَالِ الشُّبْهِ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَبِاسْتِخْرَاجِ الْحِيلِ فِي تَقْوِيَةِ الْكُفْرِ، وَهَذَا الْمَعْنَى يُسَمَّى فُسَادًا، قَالَ تَعَالَى: حِكَايَةٌ عَنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ حَيْثُ قَالُوا لَهُ: ﴿أَنْتَ نَرَىٰ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 127] أَي يَزِدُّو قَوْمَكَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيُفْسِدُوا عَلَيْهِمْ شَرِيْعَتَهُمْ، وَقَالَ أَيضًا: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [غافر: 26]»<sup>(24)</sup>.

﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هُنَّآ ءَامِنِينَ ۖ ١٤٦ فِي جَنَّتِ وَعِيُونَ ١٤٧ وَرُزُوعٍ وَنَحْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ ١٤٨ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ١٤٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: 146-152].

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول -والله أعلم -: اتقوا نقمة الله في مخالفتكم أمره، وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين، أي: لا تطيعوا أمر من ظهر لكم منه الإسراف والفساد، ولكن أطيعوا أمري؛ إذا لم يظهر لكم مني إسراف ولا

<sup>(20)</sup> أدب الدنيا والدين أدب الدنيا والدين المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م (ص144).

<sup>(21)</sup> تفسير الماتريدي (4/ 496).

<sup>(22)</sup> معاني القرآن وإعرابه للزجاج (2/ 354).

<sup>(23)</sup> تفسير الرازي : (18/ 386).

<sup>(24)</sup> تفسير الرازي (5/ 346).

فساد، ولا تطيعوا الذين تعلمون أنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون»<sup>(25)</sup>.

«وَأَمِينٌ حَالٌ مَبِينَةٌ لِبَعْضِ مَا أَجْمَلَهُ قَوْلُهُ: فِي مَا هَاهُنَا. وَذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا اسْمُ الْإِشَارَةِ لِأَنَّهَا لَا يُشَارُ إِلَيْهَا وَهِيَ نِعْمَةُ الْأَمْنِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَلَا يُتَدَوَّقُ طَعْمُ النِّعَمِ الْأُخْرَى إِلَّا بِهَا. وَقَوْلُهُ: فِي جَنَاتٍ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَقَ بِهَا أَمِينٌ لِيَكُونَ مَجْمُوعٌ ذَلِكَ تَفْصِيلاً لِجَمَالِ اسْمِ الْإِشَارَةِ، أَيْ اجْتِمَاعَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَرَفَاهِيَةُ الْعَيْشِ»<sup>(26)</sup>.

ولتحقيق الاستدامة والوقوف أمام المفسدين لا بد من نظام وتشريع ومؤسسات وحكومة تضمن ذلك كله، وهو ما يأمر به سبحانه كما يفهم من الآية الكريمة: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩» [النساء: 58-59].

### نماذج عملية في تحقيق التنمية الرشيدة كما في قصص القرآن الكريم:

القرآن الكريم أعطى نماذج توضح التنمية الرشيدة وأثرها في تحسين حياة الناس ونهوض حالهم سواء في تنمية الموارد ورأس المال البشري أو المادي أو استخدام التقانات الحديثة في كل عصر أو الاستفادة من الثروات الطبيعية التي خلقها الله للإنسان هذه النماذج جميعاً مؤسسة على محوريات الإنسان ودوره في الاستفادة من الموارد المسخرة له لتحسين حياته والوصول للحياة الطيبة وتعبير ابن خلدون للوصول إلى "الرفاه" وهذه بعض النماذج القرآنية:

#### قصة "ذو القرنين":

جاءت قصة ذي القرنين في أواخر سورة الكهف مفصلة وفيها شرح واضح للتنمية ودورها في تحسين حياة الناس والاقتراب من الرفاه، والتنمية المقصودة تبدأ من الإنسان وتنتهي إليه وتمر بالنواحي الاقتصادية والتعليمية؛ ونشير إشارات لما سبق:

قوله: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ» يحتل وجهين: أحدهما: باستيلائه على ملكها. الثاني: بقيامه بمصالحها. «وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» فيه وجهان: أحدهما: من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته ... الثاني: ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد. ويحتمل وجهاً ثالثاً: وجعلنا له من كل أرض وليها سلطاناً وهيبة»<sup>(27)</sup>.

فالله تعالى جعل "ذو القرنين" صاحب علم ونفوذ وسلطان، ويسر له أسباب الملك، فما من سبب يقوي ملكه إلا أعطاه إياه، كآلات السير، وكثرة الجند، وأسباب العمران، والعلم المفضي للرفاه، فأتبع طريقاً وأسلوباً من شأنه إنجاح غزوه ومساره في الأرض؛ جاء في تفسير تأويلات أهل السنة: «وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» اختلف في ذلك: قَالَ بَعْضُهُمْ: علم المنازل: أي: منازل الأرض ومعالمها وآثارها. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: العلم والقوة. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أعطاه السبب الذي به صلاح ما مكن له، وملك له مما يقع له الحاجة إليه... وأصله: أنه ذكر أنه أتاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك عليه، ولم يبين ما ذلك السبب»<sup>(28)</sup>.

وهذه الأسباب التي كان يأخذ بها للوصول لأهدافه تعلمنا أن الإنسان لا يصل لنهوض حضاري بالقعود والكسل بل

<sup>(25)</sup> تفسير الماتريدي (8/ 78).

<sup>(26)</sup> التحرير والتنوير (19/ 175).

<sup>(27)</sup> تفسير الماوردي =النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان (3/ 338).

<sup>(28)</sup> تفسير الماتريدي (7/ 205). ويدعم هذا المعنى ما نقله ابن كثير: وفي "المختار" للحافظ الصياني المقيسي.. قال: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَأَلْتُهُ رَجُلٌ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ: كَيْفَ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ؟ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سَحَرَ لَهُ السَّحَابُ، وَقَدَّرَ لَهُ الْأَسْبَابُ، وَبَسَطَ لَهُ الْيَدَ. ينظر: تفسير ابن كثير -

السلامة (5/ 190).

بالعمل واتخاذ الأسباب وفق سنن الله في أرضه ومنها العلم والتنمية الراشدة واستخدام التقانات الأفضل في زمانها ومكانها.

ولما وصل ذو القرنين إلى أهل القرية الذين لا يكادون يفقهون قولاً أقام لهم بنياناً يساهم في عمران بلادهم وتنميتهم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93] (لا يكادون يفقهون قولاً) لضعف تعليمهم وضعف حالهم وتخلفهم ووهنهم فليس فيهم من يتقن اللغات أو من يبين ويفصح عن الحاجات إلا يشق الأنفس حتى يكادون لا يبينون كما قال المفسرون، وكأنهم أهل بدوأة لا عمران، أيضاً هم لا يستطيعون دفع من تسلط عليهم من قوم يأجوج ومأجوج الذين أفسدوا عليهم حياتهم، بمقابل ذي القرنين الذي علمه الله وآتاه من فضله فكان يتبع الأسباب بتمكين الله تعالى له وإيتاءه من كل شيء سبباً؛ فذو القرنين قد بلغ من العلم والمعرفة والتقدم والتنمية الرشيدة مبلغاً وصلت سمعته الآفاق فمكّن الله تعالى له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، ويسر له أسباب الحكم والفتح، والعمران والحضارة (ثم أتبع سبباً) أي سخر ما وهب الله له من النعم في تحقيق غايته وهدفه، ولم يضيع ذلك هباءً.

واختلف المفسرون هل كان هؤلاء القوم يملكون مالا أم لا، قال صاحب تفسير النكت والعيون «﴿خَرَجًا﴾ و﴿خَرَجًا﴾ وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه: أحدها: أن الخراج الغلة والخرج الأجرة. الثاني: أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض، والخرج ما يؤخذ عن الرقاب ... الثالث: أن الخرج ما يؤخذ دفعة، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة ... وقوله عز وجل: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ يعني خير من الأجر الذي تبذلونه لي. ﴿فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيه وجهان: أحدهما: بآلة .. الثاني: برجال»<sup>(29)</sup>.

والراجح أن لديهم موارد مالية ولذلك عرضوا على ذي القرنين أن يجعلوا له خراجاً أو خراجاً، وهم أيضاً يملكون القوة العاملة البشرية ويملكون الموارد الطبيعية من القطع الحديد وخلافه، لكنهم لا يملكون العلم والمعرفة، فهم مفتقرون إلى العلم والتكنولوجيا والتخطيط وإلى وضوح الأهداف وطريقة التخطيط والتنفيذ، وفي التنمية وإدارة المشاريع نجد أن التخطيط السليم وفق الأهداف ثم استثمار الموارد المتاحة بفعالية والتنفيذ وفق أحسن طرق العلم من أهم عناصر التنمية.

ونرى ارتباط التنمية بالعدل في قصة ذي القرنين جلية واضحة فلا تنمية رشيدة دون عدل وإقامة الشريعة ودعم الصالحين والأخذ على يد المفسدين الظالمين؛ وهذه هي صفات الحاكم الصالح يأخذ على أيدي العاصين والمفسدين حتى يرجعوا إلى الشريعة والجادة القويمية، ويأخذ بأيدي المصلحين ويهيء لهم المناخ الصالح الذي يعينهم على الاستمرار في صلاحهم، وهذه الآيات الحكيمية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ أَلْفَرَيْنِينَ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۗ ٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۗ ٨٤ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ٨٥ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَرْنِينَ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨﴾ [الكهف: 84-88].

إن جواب ذي القرنين على تخبيره بين تعذيب القوم أو اتخاذ الحسنى فيهم ليدل على سلامة تفكيره وحكمته ورشاده في قيادته وحكومته، حيث لما خير في أمر هؤلاء القوم قال: أما من ظلم نفسه بإصراره على كفره وفسوقه وعصيانه فسوف نعذبه في هذه الدنيا ليرتدع ويكف عن ظلمه وبغيه، وأما في الآخرة فيعذبه ربه عذاباً فظيماً منكرًا وهو عذاب جهنم، وأما من اختار طريق الإيمان بالله وعمل العمل الصالح الذي يأمره به ربه فله جزاء الحسنى في الدنيا والآخرة، وسنقول لمن آمن وعمل صالحاً بما نأمره به قولاً سهلاً ميسوراً لا مشق فيه ولا تعب.

ويرى بعض المفسرين أن «قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنِينَ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ لا يحتمل التخيير،

(29) تفسير الماوردي (3/ 342).

ولكنه على بيان الحكم لكل في نفسه؛ لأن سبب وجوبه مختلف، فتأويله: إما أن تعذب من ظلم، وتتخذ الحسن فيمن آمن بالله؛ ألا ترى أنه قال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>(30)</sup>.

قصة يوسف عليه السلام.

لا تنمية دون إدارة سليمة والإدارة تقتضي التخطيط والتشغيل والتقييم مع إدارة للمخاطر المحتملة، ونرى في القرآن الكريم وخصوصاً في قصة يوسف عليه السلام ماسبق واضحاً جلياً، نرى الاستعداد في الحاضر لما يواجهه الإنسان في المستقبل، لتلافي مجاعة محتملة تهدد الناس كلهم. قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَحْصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 46-49].

في قصة يوسف عليه السلام عليه الصلاة والسلام نرى التخطيط الزراعي والاقتصادي بأوضح صورة وذلك لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء ودرء المجاعة، والآيات تذكر عن يوسف عليه السلام كيف خطط للملك فقال له يوسف في تعبير الرؤيا: «أما السبع بقرات السمان فإنهم سبع سنين مخصبات وذوات نعمة، وأنتم تزرعون فيها، وهو قوله: قَالَ ﴿تَزْرَعُونَ﴾ أي: فازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ أي: متواليه. والدأب: استمرار الشيء على عادة، وهو دأب يفعل كذا، أي: استمر في فعله، وقد دأب يدأب دأباً ودأباً، والمعنى: زراعة متواليه في هذه السنين على عادتك ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ مما زرعتم ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: ما أردتم أكله فدوسوه، ودعوا الباقي في السنبل، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ﴾ يعني: سبع سنين مجذبات، والشداد: الصعاب التي تشتد على الناس يأكلن يذهبن ويفنين ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ في السنين المخصبة ﴿إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ تحرزون وتدخرون، والإحصان: إحراز الشيء، قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يقال: غاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا أنزل بها الغيث، ومعنى يغاث الناس: يمطرون ويسقون الغيث ﴿وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ من السمس دهنأ، ومن العنب عصيراً، ومن الزيتون زيتاً للخصب الذي آتاهم كما كانوا يعصرون أيام الخصب»<sup>(31)</sup>.

يوسف عليه السلام فسّر رؤيا الملك وزاد عليها بأن قدم خطة عملية تستغرق البلد كله والشعب كله، أي أن خطته اعتمدت على التشغيل الكامل للأمة والبرمجة الكاملة، ثم التشغيل الكامل لطاقة كل فرد في الأمة، وهذا الذي أراده يوسف عليه السلام وعبر عنه بقوله: ﴿تَزْرَعُونَ﴾، إن الذي يخطط له يوسف عليه السلام هو مضاعفة الإنتاج وتقليل الاستهلاك، لأن الأزمات والظروف الاستثنائية تحتاج إلى سلوك استثنائي، ولأن سلوك الناس في الأزمات غير سلوكهم في الظروف العادية. استرخاء وبطالة فإن هذه الأمة تكون في حالة خلل خطير يحتاج إلى علاج ومعالج خبير<sup>(32)</sup>، وإضاعة الموارد بعدم استغلالها أو بالإسراف في إنفاقها لا يصب في صالح التنمية والنهوض الحضاري، بل يكرس الفقر والتخلف.

وإدارة يوسف الحكيمة برزت في حسن التخطيط ووضع الأهداف ثم التنفيذ -ولا تخطيط دون تنبأ وأهداف- حيث نلاحظ أنه استشرّف المستقبل ووضع أهدافاً له، فقد تنبأ بدورتين اقتصاديتين: دورة رواج تتبعها دروة ركود، ووضع أهدافاً

<sup>(30)</sup> تفسير الماتريدي (3/ 507).

<sup>(31)</sup> الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرموي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (2/ 616).

<sup>(32)</sup> ينظر: سورة يوسف، دراسة تحليلية، د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان الأردن، ط 1989 ص: 409.

لكل دورة من: استثمار، وتوفير، وإنفاق، ثم نفذ خطته مستعيناً بعناصر التخطيط وهي: السياسات، والوسائل والأدوات، والموارد المادية والبشرية، والإجراءات والبرامج الزمنية، والموازنة التخطيطية التقديرية، فجاءت الخطة لتوازن بين ثلاث أدوار هامة للنجاح الأول: الإنتاج، والثاني: الاستهلاك، والثالث: الادخار، وأن يعيد استثمار المدخرات، وعليه فقد أعلن خطته الثلاثية بمراحلها:

**المرحلة الأولى:** ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ الطابع الغالب على المرحلة الأولى هو الإنتاج والادخار مع استهلاك محدود، فيوسف عليه السلام حدد خطط الإنتاج بالزراعة وحدد استمرار الإنتاج الزراعي سبع سنين العمل فيها دائب لا ينقطع، ومع هذا الجهد الكبير في الإنتاج المستمر كان هناك تحديد واضح للاستهلاك يبدو في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ وأمر يوسف بحفظ السنابل المخزونة من الغلال كاملة كما هي ﴿فَدَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾.

**المرحلة الثانية:** ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ﴾ فإذا ما انتهت سنوات الإنتاج السبع، بما فيها من جهد متصل دائب، واستهلاك محدود كان على الخطة أن تقابل تحدياً ضخماً هو توفير الأوقات سبع سنين عجاف وبعبارة أخرى؛ بعد الإنتاج والجهد الدائب في المرحلة الأولى سيأتي تحمل أيضاً في المرحلة الثانية وهو تحمل يحتاج إلى تنظيم دقيق يصل فيه الطعام إلى كل فم.

**المرحلة الثالثة:** ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ مع التحمل والتنظيم الدقيق ينبغي ألا تأتي السنوات العجاف على كل المدخرات، وإنما كان يوسف عليه السلام واضحاً في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ﴾ فكان هذا الجزء المدخر هو "الخميرة" التي تستطيع بها الأمة أن تقابل متطلبات البذر الجديد بعد السنوات العجاف، أي إعادة استثمارات المدخرات<sup>(33)</sup>.

إن إدارة يوسف المعتمدة على التنمية الرشيدة حين صار على خزائن الأرض جعلت مخزون البلاد يفيض ويكفي بلده والبلاد المجاورة فصار يبيع الفائض من المخزون للأقوام المجاورين قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۚ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي ۚ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۚ ٥٤ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ ۚ ٥٥ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف: 54-56] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَانَا مَا نَبَغِي هَذِهِ ۚ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۚ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ ٦٥﴾ [يوسف: 65].

## نتائج البحث

من أهم النتائج:

4. للتنمية الرشيدة أصل قرآني ظاهر.
5. جاءت القصص القرآنية شارحة ومبينة للتنمية الرشيدة في جوانبها المتعددة.
6. التنمية دون رشد قد تؤول إلى وبال على البشر وهي مفسدة للأرض وهي آفة من آفات الحضارة الغربية المعاصرة.
7. يبين القرآن الكريم أن جميع جوانب التنمية الرشيدة، بما في ذلك الإنسان ونظيرته الكونية ومعتقداته وقيمه، وكلها تؤدي دوراً متكاملًا ومتربطاً في عمارة الأرض ويؤثر بعضها في بعض.
8. التركيز على بناء الإنسان بناءً علمياً وعملياً وروحياً باعتبار دوره الأهم في التنمية الرشيدة.
9. العناية بالعلم بمفهومه الشامل كما ورد في القرآن الكريم كعامل أساس في التنمية الرشيدة.

(33) ينظر: سورة يوسف، دراسة تحليلية، ص: 415، 416.



## فهرس المصادر والمراجع

1. أدب الدنيا والدين وأدب الدنيا والدين المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م
2. إشكالية التنمية ووسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح، إعداد مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى سنة 2008 عدة باحثين.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ (٤/ ٢٣٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
5. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
6. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
7. التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية، للدكتور عبد السلام حمدان اللوح، والدكتور محمود هاشم عنبر، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير، 2006م.
8. تفسير الرازي + مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
9. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ (مع الكتاب حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخرج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي، (4/ 502) .
10. تفسير السمعاني = تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التيمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
11. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، دار التربية والنثر - مكة المكرمة.
12. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) المحقق: د.مجدى باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
13. تفسير الماوردي = النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
14. تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

15. التتمية المستدامة عبدالرحيم محمد علي البركي. مجلة الإقتصاد والتجارة جامعة الزيتونة - كلية الإقتصاد والعلوم السياسية.
16. زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت.
17. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (7/3٧٢٣).
18. سورة يوسف، دراسة تحليلية، د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان الأردن، ط 1989 .
19. لطائف الإشارات = تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة .
20. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شليبي ، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
21. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ، تحقيق، إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية.
22. الهداية الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
23. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.